خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠٠٩/١١/٢٠

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت ٤٣).

هذه الآية من سورة العنكبوت. وكما يظهر من مضمونها أنها تذكر أولئك الأشقياء الذين يتركون الله تعالى ويتّجهون إلى أبواب مَن سواه، والذين ينبذون ولاية الله تعالى ويتحرون ولاية الآخرين، والذين يُعرضون عن المنافع الأبدية المتحقَّقة ويميلون نحو المنافع الظاهرية العابرة، وعندما يرون بريق الدنيا وزخارفها يتهافتون عليها فينسون السعي ابتغاء مرضاة الله، ومن أجل إرضاء

الناس يتغافلون عن رضى الله تعالى، وبالتالي يتخذون مَن سواه تعالى وليًّا لهم، ويعتبرون بيت العنكبوت حصنًا لهم بدلا من أن يتحصنوا بالحصن الحصين وهو الله تعالى. لقد ذكر الله عادًا وثمود في الآيات التي تسبق هذه الآية كما ذكر فيها قارون وفرعون وهامان، كما ذُكر قوم لوط أيضا في الآيات التي قبلها. ثم ذكرت عاقبتهم السيئة لأنهم نسوا الله تعالى وأصبحت الدنيا شغلهم الشاغل. ولم يغن عنهم من الله قومهم أو ثروتهم أو قصورهم العالية أو بيوتهم المنحوتة في الجبال. نجد في القرآن الكريم أن أحد أسباب هلاك الأقوام السابقة أنها بدلا من أن تتخذ الله ملجأ لها اعتمدت كليًّا على ملاذات دنيوية عابرة. لقد نبهنا الله تعالى من خلال أحداث هذه الأقوام ووضح لنا أن الإيمان وحده ليس كافيًا للإنسان بل لا بد له من اتخاذ الله تعالى وليًّا أيضا، ولا بد من تحقيق مقتضيات ولايته من أجل الدخول في كنف رعايته. فكما أن منصب هامان وسلطته لم تستطع أن تنقذ أحدًا منهم فيما سبق كذلك لن تنقذ أحدا في المستقبل مثل هذه المناصب والسلطات، وكما أن ثروة قارون وأمواله في الماضي لم تسعفه ولا الذين كانوا على علاقة متينة معه كذلك فكل من يخالف رضى الله تعالى الآن فلا يمكن أن ينجو من بطش الله تعالى بسبب أموال أحد أو ثروته. ما كانت ثروة قارون لتسد جوع أحد فيما سبق كما لن تشبع مثل هذه الثروة أحدا في المستقبل أيضا، ولم يغن فرعونُ عن أحد شيئا، ولم ينجُ من العذاب مَن ظن أنه لو اختار عبودية فرعون – لأنه الأكبر والأعظم على حد زعمه – فسيكون مأمونا ومعصوما من الأضرار عن طريق وزرائه هامان وقارون. إن كل هذه الملاجئ لا تعدو من كونها أشبه ببيت العنكبوت. يحدث

نفسه اليوم أيضا إذ الناس يعظمون الأثرياء لثروتهم ويتمنون بكل تحسر وألم ليتهم كانوا يملكون تلك الثروة الهائلة ليكونوا أغنياء مثلهم، أو يمدح الناسُ الأثرياءَ، أو تتملق الحكوماتُ الضعيفة الفقيرة الحكوماتِ القويةَ الغنية بغية كسب بعض المساعدات، وتدخل في ظل حمايتها ظنًّا منها أن ازدهارها وبقاءها منوط باللجوء إلى تلك الحكومات الغنية، وهكذا أصبح الزعماء المغرضون من هذه الحكومات الفقيرة يرهنون مواقف بلادهم ومنافع شعبهم. ولم تبق هذه الأمور خافية الآن بعد الفضائح التي كشفت أسرار بلاد كثيرة. وهناك عديد من رؤساء البلاد الإسلامية قد جعلوا بلادهم رهينة مع أنهم لم يكونوا بحاجة إلى هذه الخطوة لأن بلادهم تتمتع بثروات هائلة، ولكنهم لعدم إيمانهم الكامل بالله تعالى يبحثون عن دعم وسند لحكوماتهم. يقول لهم الله تعالى إن ثروات قارون لم تُجْدِه نفعا ولا قوات فرعون أغنت عنه شيئا، بل إذا تحرك قدر الله تعالى لفعل شيء فلا مردّ له. لم تُذكر في القرآن الكريم أحداث الأمم السابقة من أجل إخبارنا عن التاريخ القديم بل وردت لتقوية إيمان المؤمنين حتى ينتبهوا إلى حالتهم الروحانية، فعلى سبيل المثال يقول الله تعالى بعد ذكر قصة قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾(القصص ٨٣)، فما أغنت عنهم ثرواتهم ولا فئتهم من الله شيئا، ولا يمكن أن يحدث هذا أبدًا. يسعى بعض الناس لإنشاء علاقات مع الأثرياء بسبب ثرائهم وسلطتهم ويلهثون وراء اتخاذ الأثرياء سندا لهم حتى ينسوا الله تعالى. لقد هز الله تعالى في السنة الماضية العالَم كله ولا سيما البلاد الغنية منه بالأزمة المالية والاقتصادية، ولم يستطع

العالم الخروج منها ولا تزال آثارها تظهر للعيان. يُقال بأن الاقتصاد بدأ يستعيد قوته الآن ولكن لا تزال عملية تسريح الموظفين من أعمالهم وتخفيض القوى العاملة تجري على قدم وساق، ونسمع كل يوم أن شركة كذا وكذا قد سرحت موظفيها، ولا تزال أشباح الخوف تحوم على مجالات الاستثمار.

ومنهم من يستند إلى القوى الكبرى، وقد ضرب القرآن الكريم مَثَل فرعون رمزًا لهذه القوة الظاهرة. كان الناس في زمنه يظنون أنهم بلجوئهم إلى فرعون قد آووا إلى ركن شديد. قد ادعى فرعون الألوهية ولكن لما حان وقت معاقبته لم تنقذه حكومته ولا ادعاؤه بالألوهية. كان فيما سبق يقول في منتهى غطرسته: ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾(القصص ٣٩)، ولكنه لما تعرض لبطش الله تعالى استعد للإيمان بإله بني إسرائيل، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس ٩١). كان يتكبر فيقول – فيما سبق – بسخرية أريد أن أصعد صرحا عاليا حتى أطلع على إله موسى، إلا أنه لما تيقن من الغرق ورأى الموت ماثلا أمامه تذلّلَ لدرجة قال آمنت بإله بني إسرائيل، فلو قال "بإله موسى" لكان قد حافظ على بعض كبريائه لأن موسى عليه السلام كان يحظى بشيء من الاحترام عنده لأنه قد رُبّي في بيته وليدا، أما بني إسرائيل فكان يعتبرهم قوما حقيرين لا يعدون كونهم عمالا تافهين، إلا أن الله تعالى قد اضطره ليتلفظ بقول يدل على منتهى ذلته وخنوعه. فهذه هي صورة الملاذات الدنيوية لم تتغير، كانت في الماضي وكذا هي في الوقت الحالي أيضا، ولكن أهل الدنيا لا يفهمون، فلو نشأت

لأحدهم علاقة مع بعض أعضاء البرلمان – ناهيك عن أن تكون مع الملك – فإنه يحتقر الآخرين، وهذا المرض مستشر في البلدان النامية. لم تَنْمُ هذه البلدان إلا أن هذا المرض نما فيها بكثرة ولا سيما في باكستان. فإنهم بناء على علاقتهم مع هؤلاء الكبار يضغطون على بعض المسؤولين ليمارسوا الظلم على الأبرياء. لا يدركون أنه لا مُلك إلا لله وحده، فإذا أصدر قدر الله تعالى قرارَه اضطر فراعين من الناس وجبابرتهم لمواجهة الخزي والذلة. فلا يمكن أن يتولد في القلب إيمان بالله تعالى وخشيته بمجرد تلفظ اسمه. لا يخشى اللهَ تعالى إلا من يخشاه حتى عند تمتعه بالقوة ثم يحقق متطلبات الإنصاف والعدل في تصرفاته، وإلا فإن قول هؤلاء الناس أنهم يخافون الله تعالى لا تعدو كونها كلمات مجردة تخرج من أفواههم فحسب. يدعي بعض الناس الإيمان بالله ثم يمارسون أشنع أنواع الظلم، مما يدل أنهم لا يؤمنون بقدرات الله، ولا يتلفظون باسم الله إلا تماشيا مع المجتمع. إنهم يقيمون في بيوت هي أشبه ببيت العنكبوت الذي تذروه نسمة واحدة من الهواء. إنهم يعتمدون على ثروتهم وقوتهم وحزبهم وجمعهم وعلاقاتهم مع الحكومات الكبرى، ولا يعرفون أن هذه القوى الكبرى تخذلهم بعد أن تحقق مآربها. الوفي الحقيقي هو الله وحده. وقد وجَّه الله تعالى أنظار المسلمين مرارا وتكرارا إلى أن يخلقوا في قلوبهم تقوى الله تعالى وخشيته الحقيقية، وأن يتخذوا الله تعالى جُنَّة لهم. واعلموا يقينا أن الله تعالى هو الوحيد القائم والباقي ومالك القوى كلها، لذا فاتّخِذوه وحده وسيلة لنجاتكم. إن استخدام الأسباب وإنشاء العلاقات والاستفادة منها مسموح بلا شك، بل ضروري أيضا، لأن الأسباب أيضا خلقها الله. وإن إنشاء العلاقات الاجتماعية

والحفاظ عليها والاستعانة بالآخرين وتقديم العون لهم أيضا ضروري للعيش حسب قوانين الله ولبقاء المجتمع. ولكن لا يخطرنّ ببال المؤمن – ويجب ألا يخطر – أن الأسباب هي كل شيء. يجب أن نتذكر دائما أن السند الحقيقي هو الله تعالى. وإن لم يكن هناك سندٌ من الله وعونٌ منه فإن العلاقات الظاهرية لا يمكن أن تنفع بشيء.

ففي السورة الأولى من القرآن الكريم علّم الله تعالى المؤمن دعاءً للوصول إلى مقامه ولتحقيق هدفه المنشود، فقال عليكم أن تدعوا دائما: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ أي ندعو الله تعالى وبه نستعين أن يوفقنا لعبادته ويسد حاجاتنا أيضا. ولهذا الدعاء أهمية خاصة حتى فُرض ترديده في الفروض والسنن والنوافل في الصلوات الخمس كل يوم ليكون الإنسان متوجها دائما إلى أن عليه أن يعبد الله تعالى وحده بنية صالحة، وبه يستعين بحسن النية، وأن يتوجّه إلى الله تعالى قبل غيره لتحقيق كل حاجة ورغبة ولنتائج مرضية لسعيه. وعند استخدام الأسباب أيضا يجب أن يكون الإنسان موقنا بأن المعطي الحقيقي هو الله تعالى، وهو الذي يقدر على أن يبارك في هذه المساعي والعلاقات. ومن أعرض عن هذا المبدأ فقد أوصد على نفسه باب النجاح الذي فتحه الله، وبالتالي لن يكون في نصيبه إلا الهلاك والدمار. وفي نهاية المطاف سيتعرض للزوال الروحاني والمادي على السواء.

أما فيما يتعلق بالمؤمن فإن الروحانية والتقوى مهمان جدا له. ولقد ضرب الله تعالى مثل بيت العنكبوت، وبذلك وضَّح أن إقرار الدين باللسان وحده لا يكفي، كما لا يكفي ارتداء عباءة الدين ولبس شِعاره، ولا ينال الإنسان

النجاة بهذه الطريقة بل تُنال النجاة بفضل الله تعالى والعمل بتعليمه، وبخلْق الروح التي من أجلها أنزل الله الأديان. والدرس الأساسي الذي يعلِّمه الدين هو أن يُنشئ الإنسان علاقة شخصية معه ﷻ. فما دام هذا هو الهدف فعلى الإنسان الأمين أن يظل في البحث عن الله دوما. وقد أمر الله تعالى المؤمن خاصة في القرآن الكريم أن يفر إليه ويحاول العمل بما أوجبه عليه من الأمور. لهذا الغرض يأتي الأنبياء، وهذا ما يقوم به المقربون إلى الله وأولياؤه لمواصلة مهمة الأنبياء. والهدف نفسه هو وراء بعثة المسيح الموعود عليه السلام أيضا. يقول عليه السلام:

"لقد أرسلني الله إلى الدنيا لأجذب الضالين بالحلم والخُلق واللطف إلى الله تعالى وهديه الطاهر، وأن أجعل الناس يسلكون على الصراط المستقيم في ضوء النور الذي أُعطِيته." (ترياق القلوب ص١٣)

ثم يقول عليه السلام: "لقد أُرسِلتُ لأقوي الإيمان وأُثبت وجود الله على الناس، لأن الحالة الإيمانية قد ضعفت لدى كل قوم. وقد عُدَّ عالَمُ الآخرة خيالا بحتا. وكل شخص يوحي بحالته العملية أنه لا يوقن بالعالم الآخر ولا يتوكل على الله تعالى كيقينه وتوكله على الدنيا وجاهها ومراتبها وأسبابها. يقولون أشياء كثيرة بلسانهم، وأما القلوب فقد استولى عليها حب الدنيا.... فقد أُرسِلت ليعود عصر الصدق والإيمان مجددا وتنشأ التقوى في القلوب." (كتاب البرية ص٢٩٣- ٢٩٤)

فمع أن تعليم القرآن الكريم موجود إلى اليوم بصورته الأصلية والحقيقية، لكن تأثيره غاب من القلوب. وكما هي سنة الله منذ القِدم أنه حين تنسى الدنيا الله

تعالى ويشرع الناس بالتوكل على الدنيا تاركين الله تعالى يرسل ﷻ رسله لكي يقيموا عظمة الله مجددا. لقد أورد الله تعالى قصص الأمم السابقة لكي تتعظوا بها فلا تنسوا الهدف من خلقكم. والهدف من خلق الإنسان كما هو معروف إنما هو عبادة الله تعالى ليس إلا.

وكذلك الأحداث التي ذُكرت تحمل في طياتها طابع النبوءات أيضا، بمعنى أنه يمكن أن تعود الأمور إلى الحالة نفسها في مستقبل الأيام حتى عند المسلمين. وإن حالة الدنيا تبين اليوم بجلاء أن هذا صحيح مئة بالمئة. إذ إن المسلمين أيضا – ناهيك عن غيرهم – قد نسوا الله تعالى وقد أصبح توجههم وسعيهم واهتمامهم مُنصبٌّ بالاطراد على الحصول على المنافع الدنيوية. والهدف من وراء بعثة المسيح الموعود عليه السلام هو أن يقيم في الدنيا التعليم القرآني الذي قام بواسطة النبي ﷺ قبل ١٤ قرنا، والذي أدى إلى إنشاء العلاقة بين الله وعبده حيث كانت حقوق الله وعباده وحقوق المجتمع – إلى جانب العبادات – أيضا تؤدَّى بحسب المبادئ التي علّمها الله تعالى، وابتغاءً لمرضاته ﷻ. كان المؤمنون جاهزين لتقديم نصف ما يملكونه من الوسائل لإخوتهم الآخرين بُغية سد حاجاتهم، وذلك لينالوا رضا الله تعالى ويتقربوا إليه ﷻ، ولكي ينقذهم الله في ظروف صعبة بسبب قربتهم هذه.

ما أجمل ذلك المجتمع الذي أقامه النبي ﷺ بفضل قوته القدسية! حيث كان الله وحده قد اتُّخِذ جُنَّة وترسا، وكان هدفهم الوحيد هو ابتغاء مرضاة الله. فنرى أن صحابيا يحدد سعرا لسلعته ثم يأتي مؤمن آخر (المشتري)ويقول لصاحب السلعة أنك حددت السعر أقل من المفروض، إذ إن السعر السائد في السوق

أكثر من ذلك بكثير. فيقول البائع بأني أحضرت هذه السلعة من الريف، وهذا هو سعرها في الريف لذا سوف أبيعها بهذا السعر، ولا أريد أن أوصد دوني أبواب الله تعالى. فيقول الثاني، أنا أيضا لا أريد أن أغلق على نفسي أبواب رحمة الله بشرائها بثمن رخيص. حتى يأخذ الكلام بينهما صبغة نقاشٍ حادٍّ إذ لم يُردْ أي واحد منهما أن يتراجع عن موقفه، خوفا منه أنه إذا فعل ذلك فقد يخرج من دائرة أفضال الله تعالى ويُبعِد نفسه عن رحمته ﷻ.

فهذا هو المجتمع الذي جاء المسيح الموعود عليه السلام لإنشائه وإقامته. والآن يجب على الأحمديين أن يحاسبوا أنفسهم ليتبين فيما إذا كنا نلعب دورنا المطلوب لإقامة هذا المجتمع أم لا، أو هل نرغب فعلا في اتخاذ الله وليا لنا، أو نتخذ من الأموال الدنيوية والعلاقات والجاه والشوكة المادية وليا لنا؟ لا يمكن أن نكون مؤمنين حقيقيين ما لم يكن كل عمل من أعمالنا بنيّة الفوز برضا الله وما لم تنقطع علاقتنا بغير الله انقطاعا كاملا، وما لم ينقطع توكلنا وآمالنا فيهم. لو لم نسعى لِجَعْل الفوز برضا الله تعالى وِجهة نظرنا دائما لَكُنّا مِن الذين يبحثون عن الملاذ في بيوت مثل بيت العنكبوت، ولما كنا من الذين يتخذون الله تعالى جُنَّة بعملهم، وإن كنا من المؤمنين ظاهريا. فإن اتخاذنا اللهَ تعالى جُنَّة سوف يأخذ طابعا عمليا حين يصبح كل عمل من أعمالنا وقولنا وفعلنا وشِعارنا ودِثارنا لابتغاء مرضاة الله وحده. عندها ستتقوى علاقتنا بالله وسيتغلب حبه تعالى على كل حب آخر. ولن نكون من الذي يكتفون بقراءة قصص المرشدين والأولياء وسماعها، بل سنتمكن من رفع مستوى روحانيتنا إلى درجة حيث يصبح كلُّ فِعلنا من أجل رضا الله ﷻ فقط، وتتولد علاقتنا الشخصية

مع الله تعالى. ففي هذا الصدد نصح المسيح الموعود عليه السلام جماعته فقال ما معناه: كونوا أولياء الله ولا تكون عبدة الأولياء. يجب ألا تقتصر علاقتكم مع الأولياء على الحصول على أدعيتهم فقط، أو أن تلحّوا على أحد للدعاء لكم – معتبرين إياه وليا لله وأن أدعيته وحده تُستجاب – لدرجة أن يأخذ الأمر طابع البدعة، بحيث لا تعودون تَدْعون ولا تصلون وتقولون إننا قد أنشأنا علاقتنا بالشخص الصالح فلان وهذا يكفينا. الحق أن الله وحده أعلم بحقيقة صلاح الناس، غير أنه من الواضح تماما بأن أناسا مثلهم الذين يعتبرون أنفسهم قريبين من الله تعالى ويقولون للآخرين: حسنا، سأدعو لك وسيستوي أمرك، ولا ينصحونهم لإنشاء علاقتهم الخاصة بالله تعالى يوجد فيهم نوع من الكبر. والذين يكتبون الرُقَى وما شابهها يتسببون كلهم في خلق البدعات. فبدلا من أن يكون الإنسان محتاجا إلى أحد يتوجب على المؤمن أن ينشئ علاقته الشخصية مع الله تعالى حتى يصير بنفسه ولي الله، فلا يتوجه إلى الناس أو إلى شخص معيَّن إيمانا منه بأن دعاءه هو وحده يستجاب، كما ينبغي أن لا يتولد في المرء تكبرٌ إذا استجيبت له بعض أدعيته فيظن أنه قد صارت له علاقة خاصة بالله تعالى. ألا إن الولي الحقيقي من يتصف بالتواضع والانكسار، ويجب أن يتذكر كل فرد من أبناء الجماعة الإسلامية الأحمدية أن الولي الحقيقي هو ذاك الذي يتمسك بالخلافة الأحمدية الراشدة بعلاقات متينة. فقد خلا في الجماعة كثير من الصلحاء العظام الذين كانوا يدعون الله كثيرا وكانت علاقتهم بالله قوية وكان دعاؤهم مستجابا، مثل السيد مولانا غلام رسول الراجيكي رضي الله عنه. فقد سجّل بنفسه بعض الأحداث من حياته في سيرته

الذاتية، فمع أن علاقته بالله كانت قوية – وقد استُجيب دعاؤه بما لا حصر لها من المرات – إلا أنه كان يقول دائما لكل من يطلب منه الدعاء أن يقوي العلاقات مع خليفة العصر ويطلب منه الدعاء، وأن ينشغل هو بنفسه في الدعاء. فهذه هي الولاية الحقيقية التي تزيد المرء تواضعا. وقد نصح سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أن يكون أفراد جماعته أولياء أمثاله، حيث سَنَدهم الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى في كل حين وآن. لا أن يرتاد المرء عند إصابته بالاضطراب أو القلق مجالسَ المشايخ كما هو شائع في عامة المسلمين. ومن فضل الله العظيم أنه قد حمى الجماعة من هذه البدعة، وندعو الله أن تستمر هذه الحماية للأبد. طلَبُ الدعاء من أحد ليس ممنوعا، بل ينبغي على المؤمنين أن يدعو بعضهم لبعض، كما ينبغي أن يطلب بعضهم الدعاء من البعض الآخر، لكن طلب المرء الدعاء من أحد لا يكفي، بل يجب أن يهتمّ نفسه بالدعاء. وكما قلت: يجب أن لا يكتفي الإنسان بالدعاء عند حلول المشاكل فقط بل يجب أن يسعى لتوثيق علاقته بالله في الأيام العادية أيضا. وإذا تيسرت هذه الحالة فعندئذ يمكن أن نقول إن الإنسان قد حاول البحث عن لجوء لله تعالى بدل أن يتحرى الأمن والسلام هنا وهناك. ولِشرْح أهمية اللجوء إلى الله واعتبار كل وسيلة أخرى عديمة الجدوى، قد قال الله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام: ١٦)، فالله تعالى هو مالك الأرض والسماء، فكم من الغباء أن يترك الإنسانُ المالكَ ويدعو مخلوقات الله للمساعدة، ويتشبث بها! إن الله بدأ الأرض والسماء فهو خالقهما، وخلق

فيهما كل شيء، فكل ما فيهما أيضا خلْقُ الله. ما أكبرها من غباوة أن يترك الإنسانُ الله الخالق والمالك الحقيقي ويسقط في حضن غيره. ثم ركّز الله على هذا الدليل أكثر بقوله إنه لم يترك الخلقَ وشأنه بعد أن خلقه، بل قد هيأ له الغذاء اللازم له. فإذا كان الله تعالى هو قد خلق الوسائل لبقاء الحياة فلا شك أن الميل إلى أحد متأثرا بثروته أو سلطته أو نفوذه في المجتمع من السفاهة والجهل. إن الذين تخرون على عتباتهم هم أنفسهم محتاجون لله لكونهم مخلوقين له ﷻ. ومن كان بنفسه محتاج إلى أحد ويأخذ منه، فمن أقصى درجات الغباء والحمق أن يسأل الإنسانُ مَن يأخذ من أحد بدلا من أن يسأل من يُعطي الجميع. بينما يقول لكم الله – الذي يعطي الجميع ويرزق أولئك الذين تخرون على عتباتهم أعني أهل الدنيا – تعالوا إلي أُغنِكم، وأسدّ احتياجاتكم. ثم قال: لا أحدَ يُطعم الله ﷻ فهو مالك الكل وأي شيء يمكن أن يقدمه له مخلوقه؟ وهو أصلا غنيٌّ عن الطعام (لا حاجة له إلى الطعام والأكل) ولا يتوقف بقاؤه على الوسائل المادية مثلكم ولا حاجة له للطعام ولا للباس ولا لأي شيء آخر. فهذه الاحتياجات المادية تخص الإنسان ولا تخص الله. كيف يمكن أن يترك المؤمن عتباته ﷻ الذي لا يحتاج إلى هذه الأشياء المادية وهو يهيئ كل الأسباب وهو مصدر كل الوسائل، ويستند إلى أحد غيره؟ فيجب أن تكون الاستعاذة بهذا الإله الغاية المنشودة من حياة كل مؤمن. يجب أن يدرك كل مؤمن أن عبادة هذا الإله وِجهتُه، ومن مقتضى عقل الإنسان ولا سيما عقل المؤمن أن يعرض حاجاته على هذا الرب ﷻ، فلا مناص من الطاعة الكاملة لهذا الإله. وإن الذين يطيعون الله طاعة كاملة هم الذين في

الحقيقة أولياؤه، وفوقهم درجةً الأنبياءُ الذين هم أولياء أيضا. وللحفاظ على هذه الدرجة بعد الفوز بها وتقديم الشكر لله تعالى قد علَّمنا ﷻ دعاءً على لسان يوسف عليه السلام فقد دعا قائلا: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣) إن أولياء الله تعالى لا ينسونه في الغنى ولا في الأوضاع القاسية، بل يذكرونه في كل حال، ويدعونه أن يوفقهم للاستمرار في ألا يسألوا غيره أبدا، كما سجل الله تعالى لنا دعاء يوسف عليه السلام في القرآن الكريم. وذلك لكي ندعو الله نحن أيضا للتقدم الروحاني حتى لا تُبعدنا النجاحات الدنيوية عن ذِكْر الله، وألا يؤدي بنا الابتلاء والمشاكل إلى الظن السيئ بربنا. بل يجب أن ندعو دائما أن يتوفانا الله مسلمين في كل حال ونُعَدّ دائما ضمن زمرة أولياء الله والصالحين. وقد علَّمنا الله تعالى أسلوب الدعاء أيضا وكيف ينبغي أن ندعوه وكيف ينبغي أن نجتهد لنكون أولياء، ومتى نكون قريبين إلى الله، ومتى يستجيب الله أدعيتنا ويكرمنا بقربه. فقد ذكر الله في سورة طه أن أسباب الحياة الدنيا التي أُعطِيها أهل الدنيا يجب ألا تولِّد في قلوبنا أطماعا دنيوية بل يجب أن تعلموا أنه رزق مؤقت. فابحثوا عن رزق الله الخالد الباقي، وحاولوا أن تكونوا أولياء الله، ولا تصادقوا اللاهثين وراء الدنيا طمعا في متاع الدنيا ولا تميلوا إلى هذه الثروة ميلا ينسيكم الله تعالى. تذكروا على الدوام أن نتيجة هذه الثروة الدنيوية التي تروها اليوم ليست محمودة. إننا نرى في العصر الحاضر أيضا أن الطمع في الثروة الدنيوية هو الذي أدى إلى انقسام العالم إلى كتلتين في الماضي، غير أن الظروف قد تحسنت فيما بعد إثر محاولات حثيثة، حيث تفكك الاتحاد

السوفييتي إلى دول متعددة. والآن بدأت تظهر الأفكار نفسها مرة أخرى وبدأت الكتل تتشكل من جديد. إن تعاطف القوى العظمى مع باكستان وأفغانستان بحجة إرساء السلام ليس بدافع المؤاساة لهما والرفق بهما، وإنما لإثبات قوتها للعالم ولاستهلاك موارد البلاد المجاورة لهما. وسوف يرى العالم هذه النتيجة في النهاية. والأوضاع الراهنة في العالم – حيث تلاحظ التحركات والتحرشات بين قوى العالم – تبدو عاقبتها أيضا وخيمةً ومُريعة جدا. ويجب أن يدعو الأحمديون كثيرا لتفادي شرها. لقد قيل للمسلمين ألا ينظروا إلى أموالهم وحالتهم الراقية الراهنة، وإنما فلاحهم يكمن في إنشاء الصلات المتينة بالله ﷻ. ولكن كيف يتم ذلك؟ فقد قال بهذا الصدد: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾(طه: ١٣٤) أي عليكم – لتحسين حالتكم الروحانية وإنشاء الصلة بالله تعالى – أن تعيروا أداءَ الصلاة اهتماما ملحوظا وأْمروا أفراد بيتكم أيضا. واعلموا أن الرزق الحقيقي – كما سبق ذكرُه من قبل أيضا – إنما يأتي من الله وحده. وعندما ينتبه المؤمن إلى العبادة فإن الله يرزقه رزقا ماديا ويوفقه للتقدم في اكتساب الرزق الروحاني أيضا بانتظام، وتقوى علاقتُه بالله ﷻ وتتولد في قلبه القناعة. ويرنو نظره إلى الله في كل حين وآن بدلا من أن ينظر إلى أموال الآخرين. وإذا تحققت هذه الحالة تقدَّمَ في التقوى. وإن الله ﷻ بنفسه يتكفل المتقي في كل حاجة له ويرزقه من حيث لا يحتسب كما بيَّنه الله في القرآن الكريم. فالله تعالى يعيذ المتقين في كل حين وآن ولا يبالون بثروة الآخرين وقوتهم أدنى مبالاة ولا يقيمون لها أي وزن. وفقنا الله تعالى نحن وذرياتنا

لإنشاء علاقة خاصة به ﷻ، ولنيل هذا الهدف قد علَّمَنا النبي هذا الدعاء؛ فقد ورد في رواية: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ. فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ. وَإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ.

(سنن الترمذي أبواب الصلاة باب مَا جَاءَ فِي الْقُنُوتِ فِي الْوِتْرِ)

يجب أن ندعو بهذا الدعاء على الدوام. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: إنني أدعو كثيرا أن يكون جميع أفراد جماعتي من أولئك الذين يخشون الله ويقيمون الصلاة ويستيقظون ليلا ليخروا على الأرض ويبكون ولا يُضيعون ما فرض الله عليهم. إنهم ليسوا بخلاء غافلين وليسوا ديدان الأرض".

ثم قال: "يريد الله أن يجعل هذه الجماعة أمّة يُذكر اللهُ برؤيتهم. والذين هم حائزون على الدرجة الأولى من التقوى والطهارة والذين قد آثروا الدين على الدنيا حقًّا"

نسأل الله تعالى التوفيق للعمل بتعليم القرآن الكريم وأن نستعيذ بالله دوما ونبتعد عن الأطماع الدنيوية ونُعَدّ روّادًا في أداء حقوق الآخرين وأن نرث أدعية سيدنا المسيح الموعود عليه السلام كلها ونتقدم على دروب ولاية الله كل حين وآن، آمين.

أريد الآن أن أوضح أمرا لأن الناس بدأوا يكتبون في رسائلهم بكثرة – وإن كان عدد الرسائل في هذا الصدد قليل في البداية – أما الآن فقد كثر عددها – فيقول الإخوة في رسائلهم أنه قد أشيع عني هنا في أوروبا وفي البلاد

الأخرى أيضا أنني نهيت الأحمديين عن أخذ التطعيم من قبل الحكومة لتفادي الإصابة بانفلونزا الخنازير. فأريد أن أوضح إنني لم أقل شيئا من هذا القبيل قط. فحيثما نصحتِ الحكومات الأولاد والمسنين بأخذ هذا التطعيم فليأخذوه إذ ليس فيه أي مانع على الإطلاق. لا أعرف من أين استنتج القائلون بذلك هذا الاستناج أو نشر أحد هذه الشائعة من عنده. فيجب الحذر من الشائعات أيضا.